يقتضي منه على عباده وإحسانه الذي يجزه عليه وكونه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد يقتضي توحده
في صمدانيته فيكون هو السيد المقصود الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم المستغني عما سواه وكل ما سواه مفتقر
إليه لا غنى بهم عنه وهذا سبب لقضاء المطلوبات وقد يتضمن معنى ذلك الإقسام عليه بأسمائه وصفاته وأما قوله
في حديث أبي سعيد أسألك بحق السايلين عليك وبحق ممشاي هذا فهذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف لكن
بتقدير ثبوته هو من هذا الباب فإن حق السايلين عليه سبحانه أن يجيبهم وحق المطيعين له أن يثيبهم فالسؤال
له والطاعة سبب لحصول إجابته وإثابته فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به ولو قدر أنه قسم
لكان قسمًا بما هو من صفاته لأن إجابته وإثابته من أفعاله وأقواله فصار هذا كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت
على نفسك والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة وذلك مما استدلوا به على أن
كلام الله غير مخلوق ولأنه قد ثبت في الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول أعوذ بكلمات الله
التامات من شر ما خلق قالوا والاستعاذة لا تكون بمخلوق فأورد بعض الناس لفظ المعافاة فقال جمهور أهل
السنة المعافاة من الأفعال وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم يقولون إن أفعال الله قايمة به وإن الخلق ليس هو
المخلوق وعلى هذا جمهور أصحاب أحمد والشافعي ومالك وهو قول أصحاب أبي حنيفة وقول عامة أهل الحديث
والصوفية وطوايف من أهل الكلام والفلسفة وبهذا يحصل الجواب عما أوردته المعتزلة ونحوهم من
الجهمية نقضًا فإن أهل الإثبات من أهل الحديث وعامة المتكلمين من الصفاتية من الكلابية والأشعرية
والكرامية وغيرهم استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق فإن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل
لا على غيره واتصف به ذلك المحل لا غيره فإذا خلق الله بمحل علمًا أو قدرة أو حركة أو نحو ذلك كان هو العالم به
القادر به المتحرك به ولم يجز أن يقال إن الرب المتحرك بتلك الحركة ولا هو العالم القادر بالعلم والقدرة
المخلوقين بل بما قام به من العلم والقدرة قالوا فلو كان قد خلق كلامًا في غيره كالشجرة التي نادى منها موسى
لكانت الشجرة هي المتصفة بذلك الكلام فتكون الشجرة هي القايلة لموسى إنني أنا الله ولكان ما خلقه الله من
إنطاق الجلود والأيدي وتسبيح الحصا وتأويب الجبال وغير ذلك كلامًا له كالقرآن والتوراة والإنجيل
بل كان كل كلام في الوجود كلامه لأنه خالق كل شيء وهذا قد التزمه مثل صاحب الفصوص وأمثاله
من هؤلاء الجهمية الحلولية والاتحادية فأوردت المعتزلة صفات الأفعال كالعدل والإحسان فإنه
يقال إنه عادل محسن بعدل خلقه في غيره وإحسان خلقه في غيره فأشكل ذلك على من يقول ليس لله
فعل قايم به بل فعله هو المفعول المنفصل عنه وليس خلقه إلا مخلوقه وأما من طرد القاعدة وقال أيضًا إن الأفعال
قايمة به ولكن المفعولات المخلوقة هي المنفصلة عنه وفرق بين الخلق والمخلوق فاطرد دليله و
استقام والمقصود هنا أن استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم بعفوه ومعافاته من عقوبته مع أنه بلغ

لا

لا يستعاذ بمخلوق كسؤال الله بإجابته وإثابته وإن كان لا يسأل بمخلوق ومن قال من العلماء لا يسأل إلا به لا ينافي
السؤال بصفاته كما أن الحلف لا يشرع إلا بالله كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت وفي لفظ للترمذي من حلف بغير الله فقد أشرك قال الترمذي حديث
حسن ومع هذا فالحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلف به لم يدخل في الحلف
بغير الله لأن لفظ الغير قد يراد به المباين المنفصل ولهذا لم يطلق السلف وساير الأئمة على القرآن وساير
صفات الله أنها غيره ولم يطلقوا عليها أنها ليست غيره لأن لفظ الغير فيه إجمال قد يراد به المباين المنفصل فلا
تكون صفة الموصوف أو بعضه داخلًا في لفظ الغير وقد يراد به ما يمكن تصوره دون تصور ما هو
غير له فيكون غيرًا بهذا الاصطلاح ولهذا تنازع أهل النظر في مسمى الغير والنزاع في ذلك لفظي
ولكن بسبب ذلك حصلت في مسايل الصفات من الشبهات ما لا ينجلي إلا بمعرفة ما وقع في الألفاظ
من الاشتراك والإيهامات كما قد بسط في غير هذا الموضع ولهذا يفرق بين قول القايل الصفات غير
الذات وبين قوله صفات الله غير الله فإن الثاني باطل لأن مسمى اسم الله يدخل فيه صفاته
بخلاف مسمى الذات فإنه لا يدخل فيه الصفات ولهذا لا يقال صفات الله زايدة عليه سبحانه وإن قيل
الصفات زايدة على الذات لأن المراد أنها زايدة على ما أثبته المثبتون من الذات المجردة
والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة فليس اسم الله متناولًا لذات مجردة عن
الصفات أصلًا ولا يمكن وجود ذلك ولهذا قال أحمد رحمه الله في مناظرته الجهمية لا نقول الله
وعلمه الله وقدرته والله ونوره ولكن نقول الله بعلمه وقدرته ونوره هو إله واحد وقد بسط هذا
في غير هذا الموضع وأما قول الناس أسألك بالله وبالرحم وقراءة من قرأ تساءلون به والأرحام فهو من باب
التسبب بها فإن الرحم توجب الصلة وتقتضي أن يصل الإنسان قرابته فسؤال السايل بالرحم لغيره
يتوسل إليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما ليس هو من باب الإقسام ولا من باب التوسل
بما لا يقتضي المطلوب بل هو توسل بما يقتضي المطلوب كالتوسل بدعاء الأنبياء وبطاعتهم والصلاة
عليهم ومن هذا الباب ما يروى عن عبد الله بن جعفر قال كنت إذا سألت عليًا رضي الله عنه شيئًا
فلم يعطنيه قلت له بحق جعفر إلا ما أعطيتنيه فيعطينيه أو كما قال فإن بعض الناس ظن أن هذا
من باب الإقسام عليه بجعفر أو من قولهم أسألك بحق أنبيائك ونحو ذلك وليس كذلك بل جعفر هو
أخو علي وعبد الله هو ابنه وله عليه حق الصلة فصلة عبد الله صلة لأبيه جعفر كما في الحديث إن من
أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي وقوله إن من برهما بعد موتهما الدعاء لهما والاستغفار
لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة رحمك التي لا رحم لك إلا من قبلهما ولو كان هذا من الباب

Copyright © King Saud University